المنهج التاريخي في النقد المغاربي

المنهج التاريخي من المناهج الخارجية ،التي تقارب النص الأدبي خارجيا ، أي انطلاقا من الظروف التي لابست ميلاد النص ونشأته. وهو" منهج يتخذ من حوادث التاريخ السياسي والإجتماعي وسيلة لتفسير الأدب وتعليل ظواهره أو التاريخ الأدبي لأمة ما ، ومجموع الأراء التي قيلت في أديب ما أو فن من الفنون ".(1)

إن الإرتكاز علىأ التاريخ في دراسة النص الأدبي ، إنما يكون في الحقيقة لخدمة النص بالدرجة الأولى ، ولا يكون هدفا وغاية في حد ذاته . فالإفادة من علم التاريخ بالنسبة للناقد تتمثل في اتخاذ الظروف اليباسية والإجتماعية وسيلة تساعدنا على معرفة حقيقة الإبداع ودوافع إنتاجه لذلك نجد أصحاب المنهج التاريخي يؤمنون بفكرة أن التاريخ " يشكل أهمية كبيرة في معرفة الأدب ومراحل تطوره ، وله القدرة على تحليل عناصر الأدب حيث يشكل التاريخ أداة نقدية في تقييم الأدب والأدباء ".(2)

ويعتمد النقد التاريخي وفق ما يرى عبد السلام المسدي " على ما يشبه سلسلة من المعادلات السببية ، فالنص ثمرة صاحبه والأديب صورة لثقافته ، والثفافة إفراز للبيئة ، والبيئة جزء من التاريخ فإذن النقد تأريخ للأدب من حلال بيئته " .(3)

يقوم المنهج التاريخي على مبدأ الشرح والتفسير ، ولذلك فإن الناقد لما يستخدم المنهج التاريخي فإنما يكون "لتفسير ووصف ماضي الظواهر الأدبية ويوضح لنا كيف جاءت وأين ومتى ظهرت؟ فإذا طبق المنهج التاريخي في الأدب دون الإستناد إلى وثائق يقينية مؤكدة ، يكون الناتج حتما بعض الإفتراضات الظنية غير القابلة للتحقيق ولكن منهج تاريخ الأدب الحق هو الذي يعتمد أصلا على الحقائق الثابتة والمؤكدة ، استنادا إلى الوثائق الأصلية التي تستخدم لاستجلاء الوقائع الادبية ".(4)

ظهور المنهج التاريخي : ظهر هذا المنهج في نهاية القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين . وبالتحديد في فرنسا ومن أبرز أعلامه نذكر سانت بوف ،وتين ، وبرونتيير ،وغوستاف لانسون الذي يرجع إليه الفضل في بلورة المنهج التاريخي في القرن العشرين . إن هذا الناقد في تقدير عبد السلام المسدي : " هو رائد المنهج التاريخي في الأدب حدد الطرق التي يتم بها توثيق النصوص والمسالك التي تكشف السببية الأدبية " . (5) اعطى لانسون أهمية كبرى للتاريخ في دراسته للأدب يظهر ذلك في مؤلفه القيم "تاريخ الأدب الفرنسي الذي أصدره عام 1894 " . وفضلا عن هذا الكتاب الذي عني فيه بالمنهج التاريخي ، فإنه في كتابه "منهج البحث في الأدب " قد وضع المحددات الأساسية لهذا المنهج والبلورة العلمية الأخيرة له، ففيه " نستطيع أن نتبين الخطوط الأساسية للمنهج التاريخي في دراسة الأدب ونقده فقد كان كتاب لانسون هذا هو البلورة العلمية الاخيرة للمحددات الأساسية في المنهج التاريخي في الأدب " .(6)

المنهج التاريخي في النقد العربي

إن بواكير الممارسة النقدية التاريخية عند النقاد العرب ،يحددهاالدارسون بنهاية الربع الاول من القرن العشرين . وقد تبنى هذا المنهح غير واحد من النقاد العرب ، حيث راج استخدامه عند الباحثين الاكاديميين ، استخدمه طه حسين في مؤلفه ( ذكرى أبي العلاء ) ، واحمد طه ابراهيم في كتابه ( تاريخ النقد العربي ) ، وزكي مبارك في كتاب ( النثرالفني في القرن الرابع ) ، وشوقي ضيف في كتابه ( الفن ومداهبه في الشعر العربي ) وسلسلة كتبه ( تاريخ الشعر العربي ) والبلاغة تطور وتاريخ وغيره من الكتب .

المنهج التاريخي في النقد المغاربي : استخدم نقاد المغرب العربي الكبيرعلى غرار اخوانهم في المشرق العربي هذا المنهج في مقاربتهم للنص الادبي ففي النقدالجزائري نجد مجموعة من النقاد الذين اعتمدوا على المنهج التاريخي فيما وضعوه من مصنفات كأبي القاسم سعد الله ،وعبد المالك مرتاض ، وصالح خرفي ،ومحمد مصايف ، وعبد الله الركيبي الذي عمل على ................................

1-يوسف وغليسي ، مناهج النقد الادبي ،ص15.

2- فائز طه عمر واخرون ،النقد الادبي ،ص47.

3- عبد السلام المسدي ،في اليات النقد الادبي ،دار الجنوب ،تونس1994،ص88.

4- سميرسعيد حجازي ، مناهج النقد الادبي المعاصر ،دار الافاق العربية ،ط 1 ،القاهرة 2007، ص189.

5- عبد السلام المسدي ،المرجع السابق ،ص84 .

6 –صلاح فضل ،مناهج النقد المعاصر،ص36-37 .

تحقيق هذا المنهج في مؤلفاته ( القصة الجزائرية القصيرة ) ، و (تطور النثر الجزائري الحديث ) ففي كتابه الاول ،يقول " اخترت المنهج الي يجمع بين النقد والتاريخ ، فالثاريخ هنا ليس مقصودا لذاته ، وإنما هو لبيان خط تطور القصة ومسارها العام ، وكيف تطورت وما هي الأ شكال التي ظهرت فيها ،لأن الادب يتطور بتطور حياة الإنسان ، والتاريخ يساعد على تحديد مراحل هذا التطور "(1)

ففي هذا الكتاب تناول القصة الجزائرية القصيرة عبر الحيز الزمني الممتد بين ( 1928-1962) .حيث تتبع في الفصل الاول نشأة القصة اعتمادا على السياق التاريخي . ثم تطرق إلى أشكالها وعناصرها مذيلا كتابه بملحق للنصوص الفصصية و المراجع التي استمد منها مادة بحثه .

أما كتابه ( تطور النثر الجزائري الحديث ) فإنه عني فيه بالحديث عن المنهج المتبع في تأليف هذا الكتاب ، حيث يقول : " هو منهج النقد والتحليل و الاستعانة بالتاريخ إلى حد ما ". كما تظهر ملامح هذا المنهج في كتاب الشعر الديني الجزائري . ما يدل على تمسكه بتطبيق هذا المنهج في منجزاته النقدية التي أنتجها "(2).

واستخدم هذا المنهج في المغرب الاقصى مجموعة من النقاد والدارسين كمحمد بن تاويت التطواني صاحب كتاب " الوافي بالأدب العربي في المغرب الأقصى " ،وعبد الله كنون الذي وضع كتاب ( النبوغ المغربي في الادب العربي ) الذي نشره عام 1938(3) .لقد قسم عبد الله كنون كتابه إلى ثلاثة أجزاء ،خصص الجزء الأول للدراسة ،والثاني للمنتخبات النثرية فيما خصص الجزء الثالث للمختارات الشعرية .أشار إلى أن كتابه يجمع بين ( العلم والأدب والتاريخ والسياسة) . إن الكتاب عبارة عن موسوعة تاريخية تفيد المؤرخ بقدر ما تفيد الناقد الأدبي ومؤرخ الادب.

فقد تناول تاريخ الادب المغربي في إطار التاريخ السياسي وضمن تطور الحياة العلمية المغربية عبر العصور.

تناول الادب وفق خمسة عصور سياسية .

" عصر الفتوح" ويعني بها الفتوحات الاسلامية وفتح ادريس الاول .

"عصر الموحدين " وضمنه تحدث عن ( عصر المرابطين ).

" عصر المرينيين " وضمنه تحدث عن (عصر الوطاسيين ) .

عصر السعديين .

عصرالعلويين .

لقد اعتمد عبد الله كنون مقاربة تاريخية تحقيبية ، كانت هي الأساس في دراسته ثم أعقبها بمختارات أدبية من النثر والشعر حتى تتضح الصورة الادبية التي رسم إطارها التاريخي في الجزء الاول .

1-عبد الله الركيبي ،القصة الجزائرية القصيرة ،ص8

2- عبدالله الركيبي ،تطورالنثر الجزائري الحديث،ص5

3-ينظر عبد الواحد المرابط ،منبر الهوية الخالدة،23نوفمبر2011.